

ملاحظات حول التأثيرات اللبّية
في مقابر سهل ميسارا

للدكتور : أحمد حسن غزال

ملاحظات حول التأثيرات الليبية في مقابر سهل ميسارا

جنوب جزيرة كريت في الالف الثالثة ق.م.

للدكتور: احمد حسن غزال (*)

قصدت بهذه الدراسة لقاء مزيد من الضوء على بداية المرحلة التاريخية في ليبيا ، وذلك من خلال دراسة الشواهد الأثرية التي تعكسها المقابر الدائرية التي انتشرت في سهل ميسارا الواقع في جنوب جزيرة كريت وفي مواجهه الساحل الليبي ، خلال الألف الثالثة ق.م ، خاصة وأن هذا الموضوع لم ينل بعد اهتمام الدارسين العرب . وحتى من تعرض له من الدارسين الأجانب يقع في بعض الأخطاء وذلك نتيجة عدم فهم ، في بعض الأحيان ، لطبيعة المقابر الليبية وتطور أشكالها ، مما أدى الى الخلط في وجهات النظر المختلفة ، وبالتالي لم تتبلور بعد نقطة هامة وملموسة تعكس تأثيرا حضاريا للقبائل الليبية في هذه الفترة عبر البحر المتوسط .

وتقع جزيرة كريت في اتجاه محاذ للساحل الليبي الشرقي في مسافة تمتد من الشرق الى الغرب يبلغ طولها ١٣٥ ميلا . وتتميز سواحلها الجنوبية المطلة على البحر المتوسط. بعدد من المرافئ والموانئ الصغيرة التي لا تبعد كثيرا عن الساحل الليبي ، اذ أن المسافة بين رأس كريو (Krio) على شاطئ كريت ، ودرنة على الشاطئ الليبي تصل الى حوالي ١٥٠ ميلا . كما أن الزوارق الصغيرة كانت تبحر الى وقت قريب من ميناء كومو Komo لصيد الاسفنج عند الساحل الليبي حيث يوجد عدد من الموانئ

(*) استاذ الآثار اليونانية الرومانية المساعد - كلية الآداب - جامعة بنغازي

الصغيرة مثل ميناء درنة ، وخليج بومبة ، ومرسى طبرق ، وميناء بردية وغيرها ، وكلها موانئ تقع مباشرة في مواجهة الساحل الجنوبي لجزيرة كريت . ويعتقد أوريك بيتس أن الملاحة كانت سهلة وميسورة بين كريت وليبيا وذلك منذ عصر الدولة القديمة (١) (٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق م) .

ومع مطلع القرن العشرين كشفت الحفريات الأثرية عن عدد من المقابر في جنوب الجزيرة ، في سهل ميسارا . وتأخذ هذه المقابر في تخطيطها شكلا دائريا ، وتتنوع في اتساعها وعلو جدرانها ، وتتنوع أيضا في طريقة تشييدها ، وترجع كلها الى العصر المينوي الاول (٢٨٠٠ - ٢٠٠٠ ق م) (٢) (شكل ١) .

ومنذ أن قدم أوريك بيتس دراسته عن المقابر الدائرية التي اكتشفت في النوبة ، على أرض النيل ، والتي أطلق عليها « المجموعة ج (C. Group) » وجد فيها بعض المتخصصين أساسا انطلقت منه المقابر الدائرية التي اكتشفت في سهل ميسارا (٣) . وقد اكتشفت مقابر « المجموعة ج » في المنطقة بين

(١) Oric Bates, *The Eastern Libyans* (1912), pp. 18-19, note 1 on page 19.

(٢) اقترح سير آرثر ايفانس في مؤتمر الآثار الذي عقد في أثينا عام ١٩٠٥ ، تقسيم الحضارة الكريتية الى فترات متتابعة اعتمادا على تطور زخرفة الاواني الفخارية . واطلق عليها اسم الحضارة المينوية نسبة الى مينوس (Minos) الملك الأسطوري لكَنَسُوس ، والذي ورد اسمه في الأساطير الإغريقية . وانتهى الأمر الى تقسيم هذه الحضارة الى ثلاثة عصور وهي : ١ - العصر المينوي الاول (٢٨٠٠ - ٢٠٠٠ ق م) ، ٢ - العصر المينوي الوسيط (٢٠٠٠ - ١٥٥٠ ق م) ، ٣ - العصر المينوي الأخير (١٥٥٠ - ١١٠٠ ق م) انظر :

Pierre Demargne, *Aegean Art, the Origins of Greek Art* (1964), pp. 10 - 11.

(٣) كان سير آرثر ايفانس اول من شد انتباه المتخصصين الى اهمية هذا الترابط بين مقابر ميسارا والمقابر التي انتشرت في شمال أفريقيا وتبعه عدد آخر من العلماء انظر :

Arther Evans, *The Palace of Minos at Knossos*, Vol. II (New York 1964) pp. 34 - 39, fig. 17.

الشلال الأول والشلال الثانى ، وتمتد لفترة من حوالى نهاية الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة .

وتتميز هذه المقابر من الناحية المعمارية بجدرانها الدائرية ، التى شيدت من الأحجار المرصوفة ، وفى المساحة التى تحيط بها تلك الجدران، كان يحفر القبر الدائرى أو البيضاوى الشكل ، وهو عبارة عن حفرة عميقة تغطى بلوحات حجرية بعد اتمام عملية الدفن ، ثم تمال عليها الأتربة والأحجار الصغيرة فتبدو فى شكل كومة صغيرة تصون القبر وتوفر له أسباب الحماية (شكل ٢) . وقد لوحظ أن هذه القبور اتخذت شكلا مستطيلا فى وقت متأخر . ويرى أوريك بيتس أن ذلك انما يرجع الى التزايد الملحوظ للعنصر الزنجى فى نهاية عصر الدولة الحديثة ، حيث كانت قبورهم تأخذ الشكل المستطيل بصفة عامة . وعلى الجانب الشرقى أو الجنوبى الشرقى للحائط الدائرى كانت تقام بصفة منتظمة حجرة مستطيلة الشكل صغيرة الحجم (٤) .

وبداسة طريقة الدفن فى هذه المقابر ثبت أنها لا تخص المصريين وانما تخص شعوبا كانت تتجول فى مصر من منطقة الى أخرى . ويتبين كذلك عن دراسة تحليلية لجماجم الموتى وعادات الدفن ، ان تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت فى النوبة الوسطى ، وكانت تنتشر فى بلاد النوبة وكل شمال أفريقيا حتى الجزائر (٥) .

وقد شهدت المقابر الدائرية المناظرة « للمجموعة ج » فى شمال أفريقيا تطورا فى تصميمها المعمارى ، ولكنها حافظت دائما على تخطيطها الأساسى، وهو الشكل الدائرى الذى يحيط بالقبور المحفورة المغطاة بأكوام من

O. Bates, Op. Cit., pp. 245 - 252.

(٤)

Ibid., p. 246, pl XI.

(٥)

الحجارة والأتربة تسمى بالرجام (٦) ، وذلك حتى نهاية العصر الرومانى .
ويمكننا متابعة هذا التطور فى التصميم المعمارى من خلال بعض المقابر التى تنتشر فى شمال أفريقيا ، وخاصة فى ليبيا والجزائر ، حيث نجد نماذج لمقابر تبرز دلالات هامة ، فمن قبور منحوتة مغطاة بكومات من الأتربة الى مقابر ذات شكل هرمى ضخم ، بنيت من الحجر (٧) . وتنتمى الى النوع الأول مقبرة عثر عليها فى مسة بتورينائية (برقة) (شكل ١٢) وترجع الى بداية القرن السادس ق م (٨) ، ومع مرور الزمن يصل هذا التطور الى قمته فى مقبرتين نوميديتين : احدهما ، وتدعى (Tombeau de la Chrétienne) فى منطقة تيبازا غرب مدينة الجزائر ، حيث أخذت الشكل الهرمى الضخم الذى بنى كله من الأحجار المنتظمة المصفوفة فوق حجرة الدفن (شكل ١٣) . والثانية ، وهى مقبرة ميدراسن (Medrasen) فى منطقة الأوراس ، ولا تقل عن المقبرة الأولى ضخامة فى شكلها الهرمى (ب) (شكل ١٤) . وقد شهد هذا النوع من المقابر اضافات معمارية كلاسيكية بالنسبة للجدران المحيطة والمداخل ، مما حدا

(٦) يطلق على هذا الشكل فى شمال افريقيا رجم (Régem) وجمعها رجام (Régam) وهى كلمة عربية تعنى اكوام الحجارة التى تنصب على القبر . انظر ايضا :

(٧) O. Bates, Op. Cit., p. 247, note 1.
O. Bates, Loc. Cit.

(٨) S. Stucchi, «Latomba a tumulo presso Messa in Cirenaica» Libya Antiqua, Vol. 1 (1964) pp. 127-131.

وهو يعتقد أنها مقبرة اغريقية ، ولكنها تحتفظ بأصالتها الإفريقية ولها امثلة مناظرة كما نقدم فى هذه الدراسة .
(ب) O. Bates, Op. Cit., p. 247.

انظر ايضا : الضريح الملكى الموريطانى ، تأليف منير بوشناقى وتصويب عبد الحميد حاجيات ، منشورات مديرية الشؤون الثقافية ، الجزائر ، ١٩٧٠ .

بعض الأثريين على الإعتقاد بأنها إغريقية (٩) ، ولكنها في الواقع ، انها في جوهرها استمرارا للتخطيط التقليدي الذي قدمناه من النوبة الوسطى ، رغم أنها ترجع الى بداية القرن الأول الميلادي .

وهناك أمثلة أخرى من المقابر الدائرية ، التي بقيت تحتفظ بأصالتها الافريقية أيضا في الجزائر ، ولكنها أقل حجما . واكتشفت احدي هذه المقابر في عين سفرة (Ayn Safreh) ، ويصل اتساع قطرها الى ثمانية أمتار ، وارتفاع الجدار المحيط يصل في ارتفاعه الى ٢٢٠ مترا ، ويغطي القبر في الوسط بكومة شيدت من ركام الحجارة في شكل متدرج ويلاحظ في هذه المقبرة أن القبر حفر حتى نصفه في التربة ، والنصف الأعلى شيد من الحجارة المرصوفة ، ويصل اتساع قطره الى متر واحد ، أما اللوحات الحجرية التي تغطيه فهي في ارتفاع مستوى الارضية (شكل ٣) (١٠) ، وينتشر هذا النوع من المقابر بصفة عامة في الجزائر (شكل ٤) .

وأخيرا ينتمى الى هذا النوع من المقابر أيضا مقابر جزيرة المراكب (Seal Island) وهي وان كانت تنتمى الى نهاية العصر الروماني ، الا أنها حافظت أيضا على التقليد الليبي الموروث للشكل الدائري ، وان كانت تبرز بعض الاختلافات عن « المجموعة ج » حيث نجد أن توجيه الحجرات الاضافية فيها نحو الجنوب ، كذلك لا توجد قبور محفورة في وسطها ويرجع ذلك الى طبيعة الأرض الصخرية (شكل ٥) (١١) .

تلك هي العناصر الأساسية للمقابر الليبية التي حافظت عليها طوال رحلتها التاريخية . وكان سير آرثر ايفاس أول من شد انتباه المتخصصين

(٩) A. W. Lawrence, Greek Architecture (1962), pp. 188-189, pls. 93, 94.

(١٠) O. Bates, Op. Cit., p. 247, fig. 19, note 2.

(١١) Ibid., pp. 247-248, fig. 93, a-c.

وانظر ايضا :

Theresa H. Carter, Reconnaissance in Cyrenaica, Expedition, Spring 1963, p. 26.

في الحضارة الايجية الى أن هذه المقابر في شمال أفريقيا كانت الأساس الذي تأثرت به مقابر سهل ميسارا جنوب جزيرة كريت التي ترجع الى الألف الثالثة ق.م (١٢) . وقد ساندته في رأيه كل من كسانثوديدس (١٣) وبندلبري (١٤) ثم أخيرا أليكسيو (١٥) . ولكن هذه النظرية تعرضت أخيرا لهجوم عنيف من برانيجان (١٦) وكان قد سبقه الى ذلك كل من باتتي (١٧) وهود (١٨) ، ونتج عن ذلك خلط في وجهات النظر يوحى بعدم الأخذ بنظرية اينفانس ومؤيديه .

وتتلخص وجهة نظر برانيجان في القول بأن المقابر الليبية لا يجوز أن يطلق عليها الاصطلاح الاغريقي (Tholoi) (١٩) لأنها لم تأخذ هذا الشكل المعماري الذي يحتمل أن مقابر ميسارا قد أخذته . ذلك أن (Tholoi) يقصد بها المقابر الدائرية التي شيدت على شكل حجرات دائرية مكتملة البناء ، مقببة السقوف ، والتي ترجع الى الجزء الأخير من العصر البرنزي في شبه جزيرة اليونان ١ ١٥٠٠ - ١١٠٠ ق.م (٢٠) .

- (١٢) انظر الملاحظة رقم ٣ .
 (١٣) S. Xanthoudides, *The Vaulted Tombs of Mesara* (1924), p. 128.
 (١٤) J. D. S. Pandlebury, *The Archaeology of Crete* (1939), p. 74.
 (١٥) S. Alexiou, *Dinoan Civilization* (1973), p. 17.
 (١٦) K. Branigan, *The Tombs of Mesara* (1970) pp. 142-143.
 (١٧) L. Banti, «La Grande Tomba a Tholos di Hagia Triado», *Annuario* 13-14 (1933) pp. 244-245.
 (١٨) M. S. F. Hood, «Tholos Tombs of the Aegean», *Antiquity* 34 (1960) p. 173.
 (١٩) K. Branigan, *Op. Cit.*, pp. 142-143.
 (٢٠) *Ibid.*, p. XV.

انظر أيضا :

D. S. Robertson, *Greek and Roman Architecture*, (1971) p. 382.
 ويرى أن من احسن الامثلة التي يطلق عليها الاصطلاح « Tholos » (وجمعها Tholoi) ، هو :

The Treasury of Atreus, Mycenai,
 وترجع الى الفترة الموكينية الاخيرة ١٤٢٥ - ١١٠٠ ق.م .

في الواقع عندما وصف أوريك بيتس مقابر « المجموعة ج » لم يذكر هذا الاصطلاح ، وانما وصف هذه المقابر بدقة وقال انها جدران دائرية تضم في وسطها قبورا مغطاة بركامات الأتربة والحجارة التي أخذت شكل الكومة ، ثم تعرض لتطور هذه الركامات في شمال أفريقيا حتى أخذت الشكل الهرمي الضخم ونفذت في شكل كلاسيكى مع احتفاظها بأصلها الافريقى (٢١) ، وكان سير آرثر ايفانس ، الذي نقل عن أوريك بيتس ، هو الذى أضاف من عنده هذا الاصطلاح المعمارى (Tholos) (٢٢) .

ويبدو لى أن سير آرثر ايفانس كان مشدودا الى الشكل التخطيطى الدائرى لمقابر جزيرة المراكب في خليج بومبه ، لأن أوريك بيتس يرى فيها التقاليد الليبية في طريقة الدفن والجدار الدائرى المحيط ، ولهذا أعطاها هذا الوصف (Tholos) بل أطلقه أيضا على مقابر « المجموعة ج » ثم اتضحت وجهة نظره عندما ذكر أن الشكل (Tholos) قد اختفى نتيجة التطور الأخير في مقابر الجزائر وأصبح القبر مجرد تل وسط جدار دائرى ، وأن ذلك برز بشكل واضح في مقبرتى (Tombeau de la Chrétienne) وميدراسن (Medrasen) ، وهما يرجعان الى بداية القرن الأول الميلادى (٢٣) . ويرى ايفانس أيضا أن المقابر الأولى التى

O. Bates, Op. Cit., pp. 246-247.

(٢١)

A. Evans, Op. Cit., pp. 37-39.

(٢٢)

Ibid., pp. 38-39.

(٢٣)

A. W. Lawrence, Op. Cit., pp. 188-189

وانظر ايضا :

حيث يرى ان هذه المقابر ترجع الى بداية القرن الاول الميلادى ، وان

يوبا الثانى (Juba 2) دفن في المقبرة التى تدعى « Tombeau de

التي تقع على تل تيبازا (Tipasa) la Chrétienne »

بالقرب من شرشيل (Cherchel) التى بدأ بناؤها في ٢٥ م . أما

مقبرة ميدراسن (Medrasen) فتنسب الى يوبا الاول (Juba 1)

الذى توفي عام ٤٦ م .

أطلق عليها هذا الاصطلاح جاءت في الواقع تقليدا للأكواخ الليبية الدائرية التي وصفها الرومان بالماباليا (Mapalia) (شكل ١١) وكانت في شكل (Tholos) (٢٤) .

يتضح من ذلك أن إيفانس عندما وصف المقابر الليبية بالاصطلاح (Tholos) لم يكن يعنى تلك الركامات الهرمية أو الكومات الصغيرة الموجودة فوق القبور ، وإنما يعنى الجدران الدائرية التي تحيط بهذه الركامات الصغيرة . وهكذا يبدو أنه تصور أن هذه الجدران الدائرية كانت مكتملة البناء حيث يأخذ السقف فيها بالضرورة الشكل المقرب (Tholos) خاصة وأنه يعتقد أنها جاءت تقليدا للأكواخ الليبية « ماباليا » كما ذكرت .

ولكن برانيجان فسر خطأ وجهة نظر إيفانس عندما اعتقد أن المقصود بكلمة (Tholoi) هي الركامات التي تغطي القبور وسط الجدران الدائرية ، وبالتالي وصفها بأنها دائرية بقمم مسطحة شيدت فوق قبور صنعت من قبل ،

(They were circular, but flat - topped, Cairns, which erected above graves already made).

وبهذا رفض وصفها بالكلمة (Tholos) ، ويرى أنه لا علاقة لها بمقابر ميسارا (٢٥) .

في الواقع أن كسانثوديديس كان أول من افترض أن مقابر ميسارا لا بد أنها كانت مكتملة البناء عند تشييدها ، وأنها كانت تنتهي بسقف مقبب ، أي أنها مقابر دائرية من النوع الذي يطلق عليه الاصطلاح المعماري

(٢٤)

A. Evans, Op. Cit., p. 39, note 2.

وعن الماباليا واشكالها وتطورها في شمال أفريقيا ، انظر :

O. Bates, Op. Cit., pp. 169-170. figs 73-74.

K. Branigan, Op. Cit., 142-143.

(٢٥)

(Tholos) (٢٦) ، واستشهد ببعض المقابر التي وجد بداخلها كمية من قطع الحجارة والمونة الكافية التي تفيد بانهارها داخل المقابر مع مرور الزمن ، كذلك لاحظ الارتفاع غير العادي بالنسبة للجدران المتبقية ، ويرى أنها جميعا عناصر ضرورية لاقامة السقف المقبب (٢٧) .

وبالرغم من أن هذه النظرية تعرضت لهجوم عنيف من بعض الأثريين (٢٨) ، إلا أن بعضهم الآخر ساندوا ذلك بناء على حفريات لمقابر اكتشفوها في مناطق كاميلاري (شكل ٦) (٢٩) وليينا (شكل ٧) (٣٠) وميرسيني (٣١) في سهل ميسارا ، ولكن أحدا منهم لم يقدم دليلا واحدا على وجود مقبرة اكتملت فيها كل عناصرها المعمارية حتى تتأكد نظرية كسانثوديدس تماما من الناحية العلمية . ومع ذلك فإن هذه النظرية شاعت وأخذ الكثيرون بها (٣٢) ، حتى أنه عندما تنكشف الجدران الدائرية فإن ذلك يوحي دائما بأنها كانت مكتملة وأنها أخذت الشكل المقبب (Tholos) وهذا ما تصوره ايفانس بالنسبة للمقابر الليبية في شمال أفريقيا والنوبة الوسطى .

وهذه المقابر الدائرية التي أثارت انتباه المتخصصين يتراوح اتساع القطر فيها من مترين ونصف الى ١٣ مترا ، ويصل أقصى ارتفاع للجدران المتبقية في بعض المقابر الى ثلاثة أمتار أو أكثر قليلا وذلك بالنسبة لمقابر

S. Xanthoudides, Op. Cit., pp. 4, 91, 128. (٢٦)

K. Branigan, Op. Cit., p. 46. (٢٧)

(1959) p. 79.

J. D. S. Pendlebury, Op. Cit., p. 64 ; R. W. Hutchinson, Prehistoric Crete (1962), p. 152 ; S. Marinatos, *Kemty Kai Muky Vaikn*

(٢٨) الذين يعارضون كسانثوديدس في نظريته هم :

D. Levi, «La Tomba a Tholos di Kamillari Presso a Festos», *Annuaire* (٢٩) 39-40 (1962) p. 104 jj.

S. Alexiou, Op. Cit., p. 17, fig. 1.

G. Maux, Chron. ques des Fouilles en 1959, *BCH*, 84 (1960) p. 821.

K. Branigan, Op. Cot., p. 37.

ميسارا (٣٣) • وهى تتباين أيضا فى طريقة بنائها من مقبرة السى أخرى ، ولكنها جميعا تعكس تطورا معماريا ملموسا سواء فى طريقة البناء أو تشييد المداخل (٣٤) • أما بالنسبة لشمال أفريقيا فان بعض مقابرها الدائرية ذات اتساع ملحوظ أيضا إذ يتراوح بين ٨ الى ١٠ مترا ، وقد شيدت الجدران من الأحجار المرصوفة أحيانا والمبنية أحيانا أخرى ، ومقبرة عين سفرة فى الجزائر يصل اتساع قطرها الى ثمانية أمتار ، أما ارتفاع الجدار فيصل الى ٢٢٠ مترا (٣٥) •

وفى اعتقادنا أن طبيعة المقابر الليبية توحى بأن الجدران الدائرية فيها كانت مجرد سياج حول القبور المحفورة وسطها والتي تغطى بركامات من الأتربة والحجارة ، وبمرور الزمن تطورت هذه الركامات ، ونالت اهتماما كبيرا ، وبنيت كليا من الحجارة المرصوفة أفقيا فوق القبر ، وأخذت شكلا هرميا لا يمكن وصفه بالكلمة الاغريقية (Tymbos) التى تعنى حجرة دائرية اكتمل بناء جدرانها وأخذ سقفها شكلا مقببا • وهذا لم يحدث فى المقابر الليبية حتى بعد اكتمال تطورها فى عصور لاحقة ، أى فى بداية القرن الأول الميلادى ، حيث نجد أن القبر أو حتى حجرة الدفن قد غطيت كليا كما ذكرت بالحجارة المرصوفة المبنية والتي يتدرج ارتفاعها حتى تأخذ الشكل الهرمى • وهى بهذا تقترب بما يمكن أن نسميه بالاغريقية (Tholos) وهى تعنى كومة من الأتربة والحجارة فوق القبر ، وتعنى باللاتينية (Tumulus) كما وصفها أوريك بيتس (٣٦) •

يتضح من ذلك أنه يوجد اختلاف فى طريقة تشييد هذه المقابر ، فهى فى ميسارا حجات دائرية لم يثبت بعد بصفة مؤكدة اكتمالها حتى يطلق

Ibid., pp. 38 - 39.

K. Branigan, Loc. Cit.

O. Bates, Op. Cit., p. 247, note 2.

Ibid., p. 247.

(٣٣)

(٣٤)

(٣٥)

(٣٦)

عليها علميا الوصف (Tholos) • وهى فى شمال أفريقيا لا يمكن وصفها أيضا بهذه الكلمة حيث كان الجدار الدائرى مجرد سياج حول الكومة أو الركام أو الحجارة المرصوفة المبنية التى تغطى القبر • ولكن الأكثر وضوحا أن هذه المقابر فى المنطقتين شمال البحر المتوسط وجنوبه قد اتفقت جميعا فى تخطيطها الدائرى طوال عصورها التاريخية القديمة •

وبالإضافة الى التخطيط الدائرى قد توفرت أيضا عناصر معمارية أخرى ربما توضح هذا التشابه بين النوعين من المقابر ، وهى الحجرات الصغيرة المستطيلة التى بنيت عند المداخل الشرقية أو الجنوبية الشرقية ، بصفة عامة ، لهذه المقابر بغية تقديم القرابين أو تأدية الطقوس الدينية •

ويذكر أوريك بيتس عند الحديث عن هذه الحجرات فى مقابر « المجموعة ج » ، أنه على الجانب الشرقى أو الجنوبى الشرقى توجد بصفة منتظمة حجرة بنيت من الطوب اللبن مخصصة لتقديم القرابين (شكل ٢) ، حيث كانت توضع الأواني الفخارية الجنائزية ، باستثناء بعض الأواني التى تحمل زخارف جيدة ، والتى ربما بسبب قيمتها الفنية كانت توضع فى القبر مع الحلى الشخصية وأدوات الزينة (٣٧) • وفى المقابر التى انتشرت فى شمال أفريقيا وخاصة فى الجزائر ، يتأكد أيضا وجود هذه الحجرات ، وإن كانت عادة فى الجانب الجنوبى الشرقى (٣٨) ، وأما فى مقابر جزيرة المراكب فنجد أنها توجد فى الغالب على الجانب الجنوبى • وفى احدى المقابر نجد أن هذه الحجرة عبارة عن أربع لوحات حجرية كبيرة تكون الجدران الأربعة ، ولكن داخل الجدار المحيط نفسه (شكل ٥) • ومرة أخرى نجد أن هذه اللوحات الحجرية التى تحل محل الجانبين والسقف والخلفية قد استبدل بها بناء هذه الجدران بالأحجار أيضا داخل

O. Bates, Loc. Cit.

(٣٧)

O. Bates, Loc. Cit.

(٣٨)

الجدار المحيط (شكل ٨) (٣٩) . وهكذا يتضح أنه رغم مرور الزمن الطويل ، واختلاف مادة البناء ، وتغيير الموضع ، إلا أن هذه الحجرات خصصت بصفة دائمة ولغرض واحد ، هو تقديم القرابين أو تأدية الطقوس الدينية .

وتوجد هذه الحجرات الاضافية أيضا في مقابر ميسارا . وقد تحدث ايثانسان من حجرة مماثلة ملحققة بمقبرة كوماسا (Kumasa) تعكس تشابهها واضحا مع الحجرات المماثلة في المقابر الليبية (٤٠) . وهى تقع خارج المدخل فى الناحية الشرقية تغطيها كتلة حجرية سميكة (Lintal) ، وهى بمثابة حجرة صغيرة أو صالة خدمت بعض الأغراض الدينية (شكل ٩) (٤١) . أما برانيجان فقد قدم شرحا وافيا لهذه الحجرات المستطيلة الصغيرة التى تمثلت فى مقابر ميسارا ، وهى حجرات تبنى من الأحجار الصغيرة والطينى، ويحتمل أن أقصى ارتفاع وصلت اليه جدرانها لا يزيد عن المترين . ومن المحتمل أنها كانت مسقوفة من أغصان الاشجار والدعامات الخشبية المغطاة بالطينى (٤٢) . والذي يشد الانتباه أن حجمها الصغير لم يتغير رغم الاتساع الكبير لبعض المقابر . ويرى برانيجان أيضا أن الغرض من هذه الحجرات غير معروف ، ولكنه يؤكد أهميتها كجزء أساسى مرتبط بالمقبرة نفسها (٤٣) . ثم يجد نفسه مضطرا للموافقة على وجهات نظر من سبقوه فى أن هذه الحجرات قد خدمت أغراضا دينية أثناء دفن الجثث ، حيث كانت توضع الجثة فيها أولا لاجراء الطقوس الدينية عليها قبل دفنها فى المقبرة (٤٤) .

Ibid., p. 248.

A. Evans, Op. Cit., p. 36.

Ibid., p. 37, fig. 17, d1 - d3.

K. Branigan, Op. Cit., pp. 93-95, fig. 20.

Ibid., p. 94.

K. Branigan, Loc. Cit.

(٣٩)

(٤٠)

(٤١)

(٤٢)

(٤٣)

(٤٤)

لا شك في أن ظاهرة وجود هذه الحجرات في مقابر ليبيا وميسارا قد فرضت نفسها بوضوح لتثبت التشابه بين مقابر المنطقتين ، فهي رغم تنوعها سواء في مادة البناء أو تغيير موضعها إلا أنها بقيت كعناصر أساسية تضاف الى المقابر الدائرية ، بغية تحقيق غرض معين أقيمت من أجله وهو إقامة شعائر دينية أو تقديم قرابين للموتى . وإذا كانت الحجرات بالنسبة لمقابر ميسارا قد التزمت في الغالب ، الجانب الشرقي أو كانت الحجرات قد تعددت (٤٥) ، مع مرور الزمن ، فإن ذلك ربما كان راجعا لظروف محلية ، كما حدث في مقبرة من فورو حيث نجد أن الحجرات قد أضيفت على الجانب الغربى (شكل ١٠) .

يمكننا أن نضيف الى ما سبق عاملا لا يقل أهمية عن التخطيط المستدير ، أو الحجرات الصغيرة التي أضيفت لهذه المقابر ، وهو تقاليد الدفن . فطريقة الدفن الشائعة التي انتشرت في المقابر الليبية سواء فى مقابر « المجموعة ج » أو غيرها في شمال أفريقيا ، تتمثل في وضع الجثث على الجانب الأيمن ، مع جعل الرأس يتجه نحو الشرق ، ويلاحظ أن الركبتين لا تنسحبان نحو الدفن ، بل تتعامدا الافخاذ مع السلسلة الفقرية ، وتنشئ الأرجل عند الركبة حتى يلمس العقبان الردفين ، وهو تقليد يطلق عليه عادة الوضع الجنيني (Contracted position) (٤٦) .

وفي مقابر ميسارا أمكن التعرف على طريقتين للدفن ، وقد أمكن التعرف على الطريقة الأولى عند العثور على جثتين كاملتين في مكانهما ، أحدهما في مقبرة في هاجيا تريادا (Hagia triada) (٤٧) ، والثانية ، فى

K. Branigan, Op. Cit., p. 95, fig. 2, 24.

(٤٥)

وهو يرى ان تعدد الحجرات جار نتيجة استخدامها للدفن ايضا فى اوقات متأخرة .

O. Bates, Op. Cit., 246.

(٤٦)

S. Xanthoudides, Op. Cit., p. XII, note 2.

(٤٧)

مقبرة جساديس (Gypsades) (٤٨) ، واتضح أن الجثتين في وضع تشنى فيه الأرجل عند الركبة وترقدان على الجانب ، أى أنهما في الوضع الجنينى. أما الطريقة الثانية ، فقد أمكن ملاحظتها في مقابر لينا (Lebena) ويحتمل أنها (Extended) حيث وجدت الجثث في وضع ممدود كانت ترقد على الظهر (٤٩) .

ان تمثيل عادة الوضع الجنينى في مقابر المنطقتين على جانبى البحر المتوسط ، لا تقودها فقط الى الاعتقاد بالتأثيرات المتبادلة بين ميسارا والساحل الليبى أو الصلات المباشرة بينهما ، بل هى ظاهرة تعنى فى الواقع هجرات انتقلت من احدى المنطقتين الى المنطقة الأخرى . وربما يساعد ذلك على تأكيد الاحتمال الذى طرحه هيجنز ، . هو أن ثمة هجرات ليبية الى جنوب جزيرة كريت أدت الى الازدهار السكانى المفاجئ الذى تعكسه مقابر ميسارا ، والتي يرى أنها شيدت فى حوالى ٢٥٠٠ ق م (٥٠) .

ان هذه الأدلة التى تعكسها الشواهد الأثرية ، رغم وجود بعض الاختلافات المحلية التى مرت بنا فى تشييد المقابر والحجرات التى تضاف اليها ووجود أكثر من طريقة للدفن ، تشير الى وجود عوامل أساسية مشتركة تجمع بين مقابر ميسارا والمقابر الكريتية . وتتركز هذه العوامل كما ذكرنا فى التخطيط الدائرى ، والوجود الدائم للحجرات الملحقة بهذه المقابر بغية تحقيق غرض واحد وهو اقامة الطقوس الدينية أو تقديم القرابين، وكذلك التزام طريقة الدفن الأساسية وهى طريقة الوضع الجنينى .

بقيت نقطة هامة وهى التاريخ ، وقد أثارها برانيجان حيث يذكر أن المقابر الليبية ترجع الى وقت متأخر جداً عن الألف الثالثة ق م :

(... they are thought to be very much later in date than the third millenium B.C.).

R. Branigan, Op. Cit., p. 86.

Ibid., pp. 86 - 88.

R. Higgins, Minoan and Mycenaean Art (1967), p. 17.

(٤٨)

(٤٩)

(٥٠)

وهو نفس التاريخ الذى يؤرخ به مقابر ميسارا (٥١) . ولا شك أن برانيجان وقع تحت تأثير المقابلات التى عرضها سير آرثر ايفانس ، فقد قابل بين مقابر ميسارا وبين بعض المقابر المتأخرة فى شمال أفريقيا وخاصة فى الجزائر وجزيرة المراكب فى خليج بومبة ، الى جانب مقابر « المجموعة ج » التى أرجعها أوريك بيتس الى نهاية الدولة القديمة . ولكن وجهة نظر ايفانس توضح أنه بالرغم من تطور هذه المقابر الليبية حتى وقت متأخر ، الا أنها حافظت على تقاليدها الليبية الموروثة فى التخطيط الدائرى وعادات الدفن ، اذا عرض نماذج من هذه المقابر توضح رحلتها التاريخية والتطورات التى مرت بها .

ولا شك أن استمرار هذه التقاليد لعصور طويلة فى منطقة تشمل النوبة الوسطى وشمال أفريقيا ، هى فى حد ذاتها تعنى أصالتها الليبية ، بل ترجع جذورها الى ما قبل الدولة القديمة (٢٧٨٠ - ٢٢٨٠ ق م) ، وما مقابر « المجموعة ج » الا نموذج فقط ، من عهد الدولة القديمة ويستمر بكل تقاليده حتى الدولة الحديثة فى النوبة الوسطى .

فى الواقع أن الذى يتأمل النشاط الحضارى الذى ازدهر على شواطئ البحر المتوسط ، يلمس التداخل الكبير ، فى كثير من الأحيان ، بين الحضارات التى نشأت على هذه الشواطئ ، وذلك نتيجة العوامل الطبيعية التى أدت الى سهولة المواصلات فيما بينها . وأهم هذه العوامل هو تقارب سواحل هذا البحر ، وكثرة الجزر التى تنتشر فى أرجائه والتى شكلت نقطا ارتكازية ملاحية بين هذه السواحل أيضا ، كذلك كثرة الانحناءات والتعاريج التى أدت بدورها الى وجود موانئ طبيعية وأماكن لحماية السفن . وقد أدى ذلك الى تشجيع السكان على ركوب البحر منذ وقت مبكر ، وبالتالي الى سلسلة من حلقات الاتصال والاحتكاك بين

السكان على شواطئ هذا البحر (٥٢) .

وسواحل جنوب جزيرة كريت تتميز بعدد من المرافئ والموانئ الصغيرة الطبيعية والتي لا تبعد كثيرا عن الساحل الليبي ، انذى تميز هو الآخر بهذه المرافئ والموانئ الطبيعية كما قدمت في بداية هذه الدراسة . ولا شك أن هذه العوامل الطبيعية قد ساعدت على الالتقاء بين سكان المنطقتين منذ وقت لم تكن تعرف فيه الا السفن الصغيرة ذات المجاديف ، وخوف الانسان من التعرض للعواصف في عرض البحر بعيدا عن الشواطئ القريبة .

ويبدو واضحا أيضا من أقدم المصادر الإغريقية الأدبية أن هذه كانت الطريق الأولى التي ربطت اليونان وجزر بحر ايجه بالساحل الليبي . فقد ورد اسم ليبيا في أوديسية هوميروس في مناسبتين ، المناسبة الأولى : عندما يتعرض مينيلاءوس لذكر البلاد التي زارها أثناء مخاطراته ، وكانت ليبيا ضمن هذه البلاد (٥٣) . وبقي صدى رحلته يتردد على الساحل الليبي ، حتى حدثنا هيرودوت في القرن الخامس ق م عن « مينيلاءوس (٥٤) » (بردية) ، وورد أيضا ذكر هذا الميناء في الكتاب المنحول للجغرافي سكولاكس (٥٥) . كذلك تردد اسم تيندياريوس صهر مينيلاءوس حيث

(٥٢) حول هذا الموضوع انظر :

لطفى عبد الوهاب يحيى / دراسات في حضارة اليونان الرومان ، ١٩٦٨ ، صفحات ٢٤ - ٢٧ .

(٥٣)

Ody. IV, 85 ff.

Herodotos, IV, 169.

(٥٤)

انظر ايضا :

ابراهيم نصحي ، انشاء قوريني وشقيقاتها ، منشورات الجامعة الليبية ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤ .

(٥٥)

Ps. - Scylax, Periplus, 107.

انظر ايضا :

ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

أطلق على منحدر جبلى على نفس الساحل غربى سيدى برانى وأصبح يعرف باسم « صخور تينداريوس (٥٦) » . ويحدد هيرودوت ميناء مينيلاءوس الى الشرق من جزيرة بلاتيا (٥٧) ، محطة الوصول الأولى للاغريق على الساحل الليبى عندما شرعوا بعد ذلك بسنوات عديدة لانشاء مستعمرتهم الاولى قورينى (٦٣١ ق م) والمناسبة الثانية : عندما يروى أوديسيوس مخاطراته ويذكر أن أحد الفينيقيين عرض عليه أن يقوما معا برحلة الى ليبيا ، لكن سفينتهما تحطمت بالقرب من جزيرة كريت (٥٨) .

ولم يكن هوميروس على دراية فقط بالساحل الليبى وتعاريفه ، بل كان أيضا على دراية بالوضع الاقتصادى فى البلاد . فهو عندما يترك مينيلاءوس يصف ليبيا يتحدث عن الخراف التى تولد بقرون طويلة ، والنعاج التى تلد ثلاث مرات فى العام الواحد (٥٩) ، وأن الجميع سواء السادة أو الرعاة لا يعوزهم اطلاقا الجبن أو اللحم أو اللبن الجيد (٦٠) .

وإذا كانت الدراسات الحديثة قد حددت الوقت الذى صاغ فيه الشاعر هوميروس ملحمتيه الالياذة والأوديسية بحوالى منتصف القرن التاسع ق م (٦١) ، وان الشاعر قد وضع ملحمة من التراث الشعبى الذى توارثته الاجيال ، ومينيلاءوس وأوديسيوس من الملوك الذين اشتركوا فى حرب طروادة ، التى أثبتت الدراسات الاثرية أن أحداثها جرت فى بداية

Ps. - Scylax, Periplus, 107. (٥٦)

Herodotos, IV, 157 ; See also Arthur Evanas, Op. Cit., note 2, p. 37. (٥٧)

Ody., IV, 85 ff. (٥٨)

Ody., IV, 85 ff : (٥٩)

Ody., XIV, 225 ff. (٦٠)

انظر ايضا :

ابراهيم نصحى ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٦١) لطفى عبد الوهاب يحيى ، هوميروس ، تاريخ حياة عصر ، ١٩٦٨ ، صفحات ٣٥ - ٤٠ .

القرن الثاني عشر ق.م (٦٢) ، بل ان المصادر المصرية قد أكدت شهرة ليبيا بتربية الأغنام قبل اشعار هوميروس بزمان طويل (٦٣) . اذا فمن الواضح أن قصص ليبيا كانت ضمن التراث القديم الذي تحدث عنه الشاعر ، وأن معرفة الاغريق بليبيا ترجع لفترة أقدم بقرون عديدة من الوقت الذي عاش فيه هوميروس . وبذلك كانت قصص مينيلاءوس وأوديسيوس تساعد بوضوح الاعتقاد بأن الطريق التي سلكته فيما بعد الهجرات الاغريقية من جزيرة ثيرا عن طريق كريت الى ليبيا (٦٤) ، كانت طريقا تقليدية معروفة منذ أقدم العصور ، عندما نشأت الصلات الأولى بين القبائل الليبية وسكان جزيرة كريت .

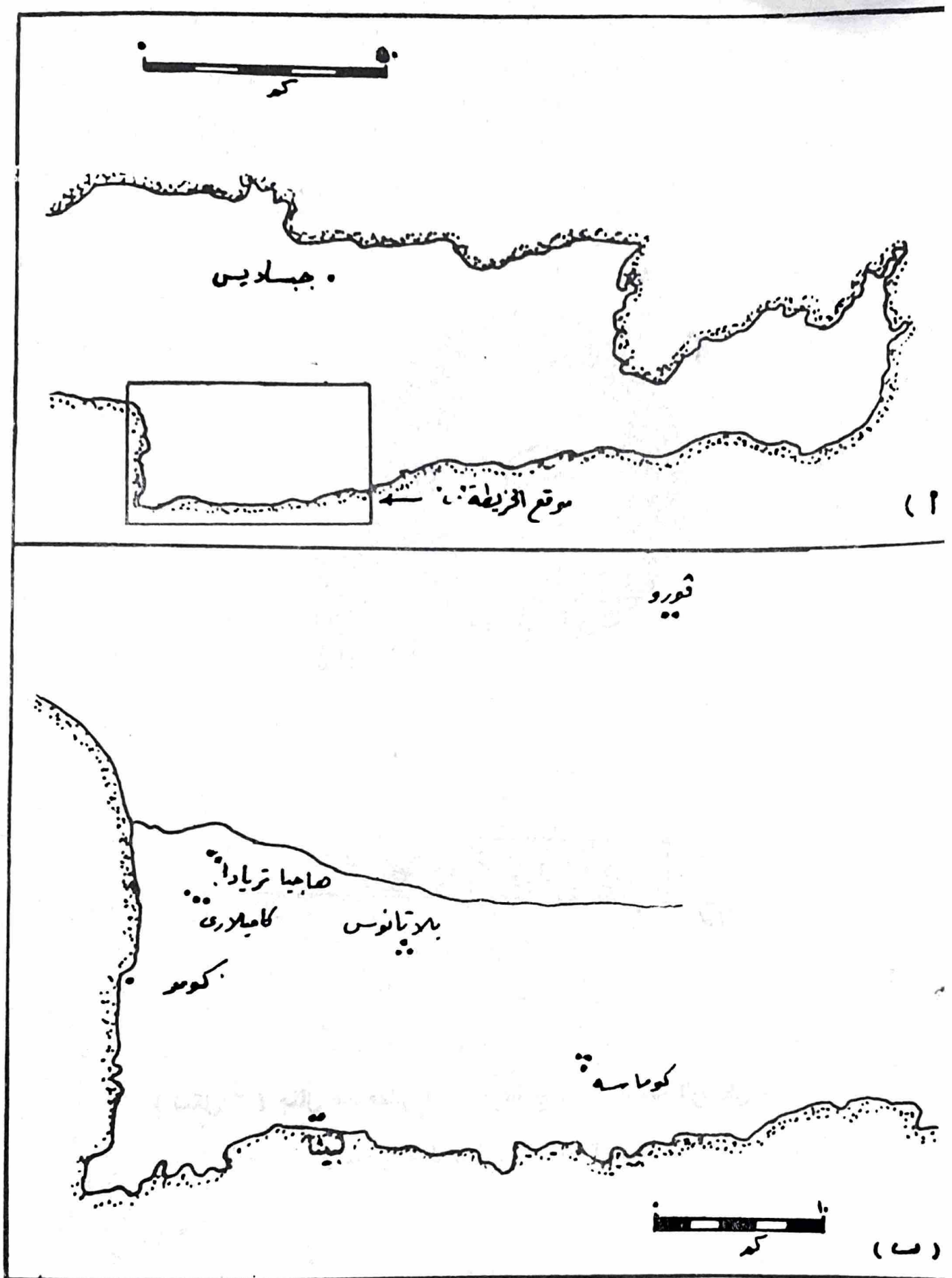
كان من المفروض أن نتحدث أيضا عن المخلفات الأثرية التي اكتشفت في مقابر ميسارا ، فقد ثبت أنها تحمل في معظمها ملامح المنتجات في شمال أفريقيا ، وخاصة ليبيا ومصر ، والتي عبرت البحر المتوسط عن طريق الساحل الليبي ، في هذه الفترة . ولكنني رأيت أن ينفرد هذا الموضوع بدراسة منفصلة لاحقة حتى يخرج في شكل متكامل ، يلقي ضوءا واضحا ، مع تخطيط المقابر وعناصرها المعمارية وطريقة الدفن ، على طبيعة التأثيرات الليبية في مقابر جنوب جزيرة كريت ، وبالتالي في الحضارة المينوية الأولى ، في الألف الثالثة ق.م .

(٦٢) لطفى عبد الوهاب يحيى ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ملاحظة رقم ٢ وتشير أيضا بعض الأدلة الأثرية على أن الليبيين كانوا يعملون في هذه الفترة بنشاط كوسطاء في تبادل السلع التي كانوا يأتون بها من اواسط افريقيا ومصر مع منتجات جزر بحر ايجيه ، انظر : مصطفى عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم (١٩٦٦) ، ص ٣٥ .

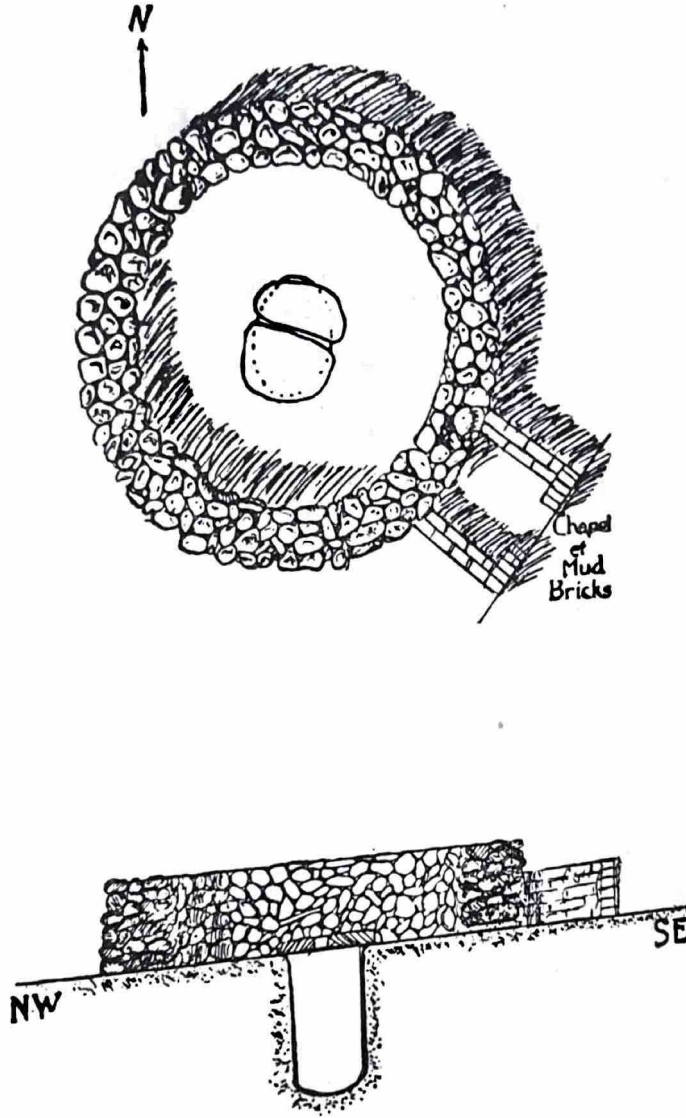
(٦٣) O. Bates, Op. Cit., p. 95.

(٦٤) Herodotos, IV, 150 - 157 ;

يذكر هيرودوت أن كوروبوس ، أحد مواطني جزيرة كريت هو الذي قاد المهاجرين من جزيرة ثيرا الى الساحل الليبي ، نظرا لدرائته بالطريق . انظر ايضا : ابراهيم نصحي ، المرجع السابق ، ص ٣٥ .



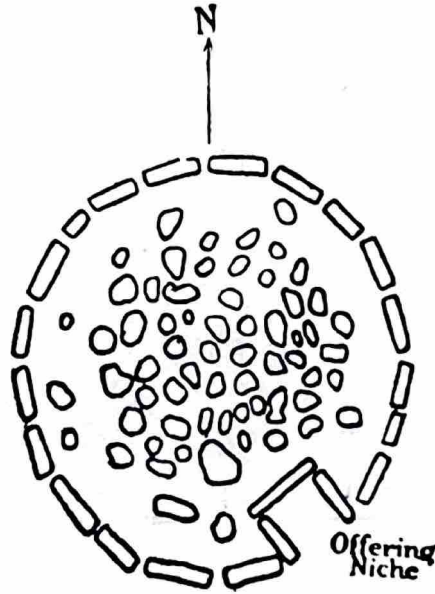
(شکل ۱) خریطتان « ا ، ب » توضحان انتشار بعض المقابر فی سهل میسارا



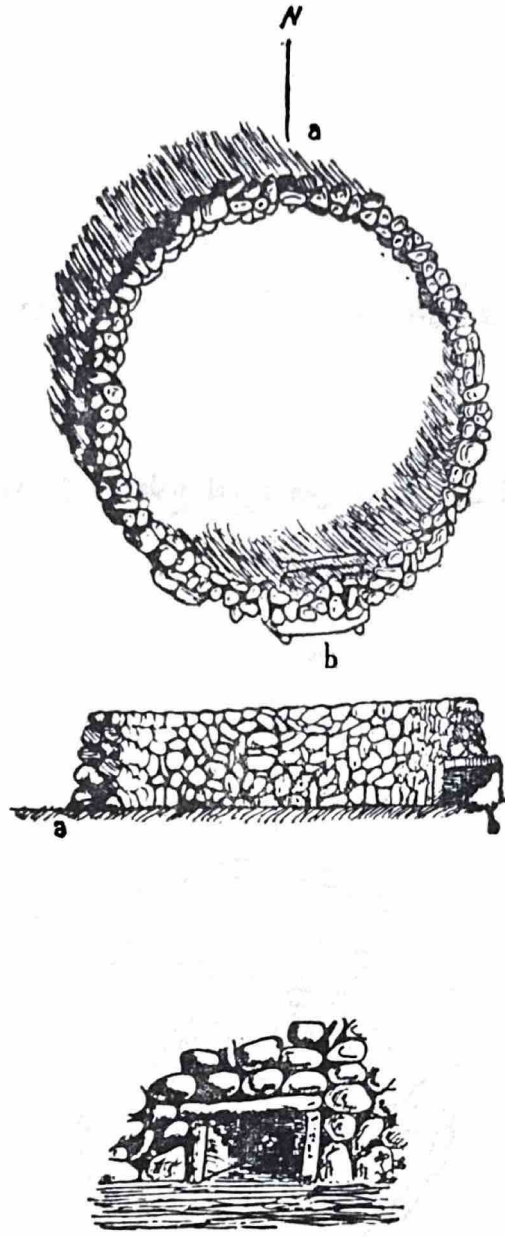
(شكل ٢) مثال من مقابر « المجموعة ج » من النوبة الوسطى ،
ويشمل تخطيط المقبرة وقطاعها



(شكل ٣) قطاع لمقبرة عين سفرة - الجزائر

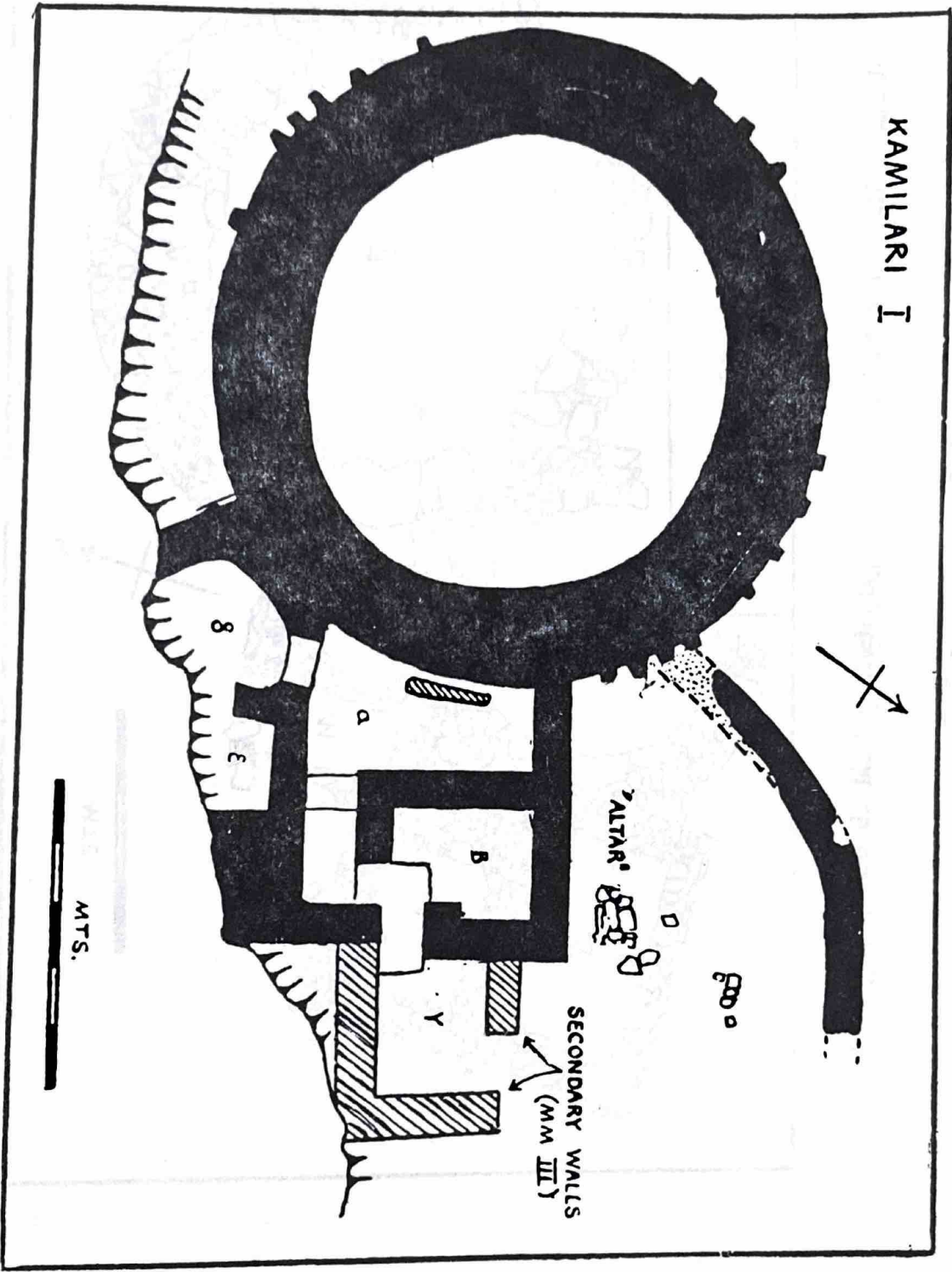


(شكل ٤) تخطيط لمقبرة من شرق الجزائر

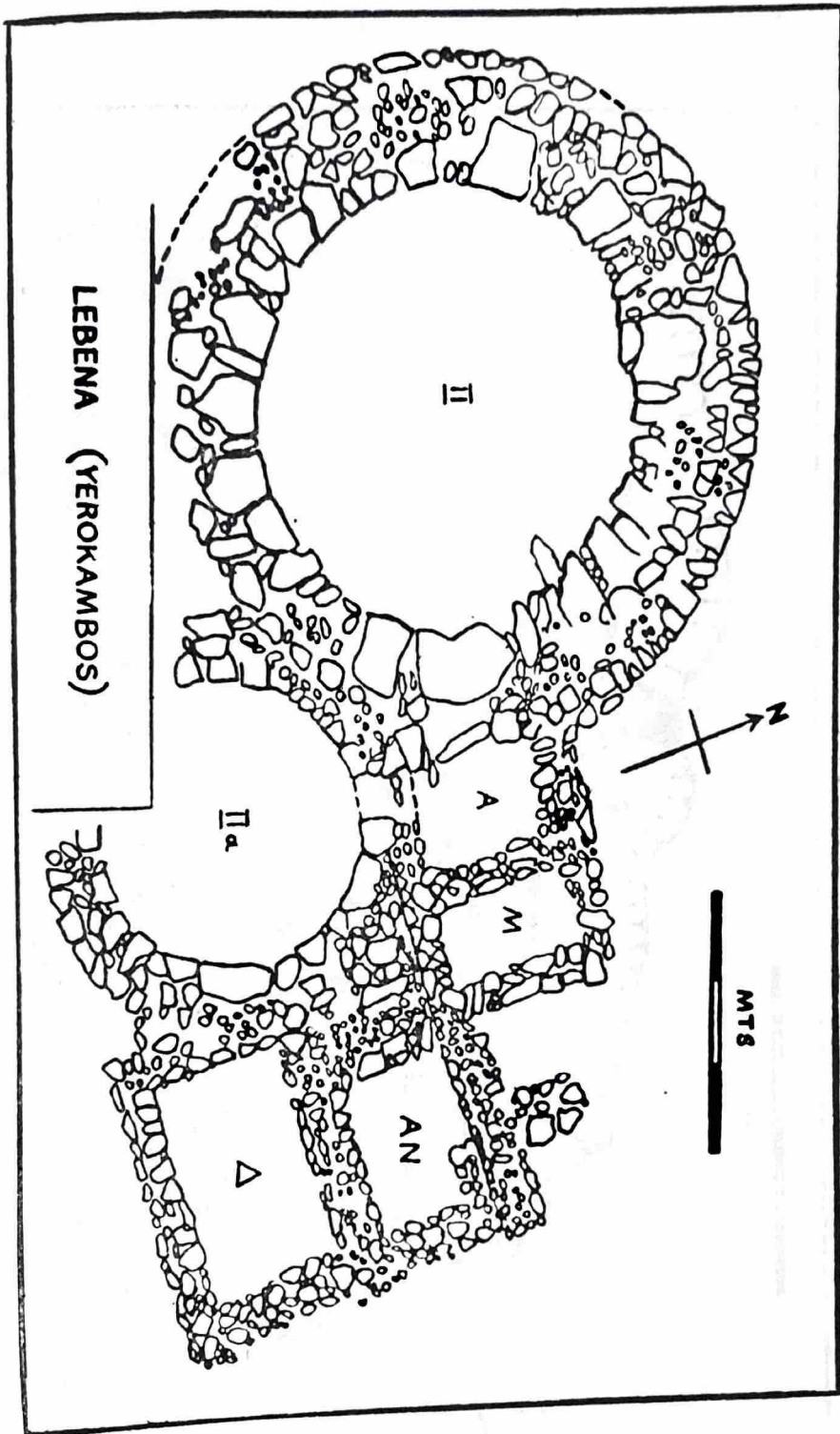


(شكل ٥) مثال من مقابر جزيرة المراكب ، في خليج بومبة ،
ويشمل التخطيط والقطاع والحجرة الامامية

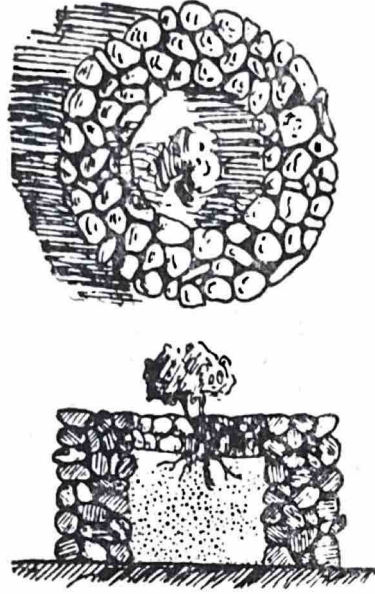
KAMILARI I



(شكل ٦) تخطيط لحد أمثلة مقابر كاميلاري - ميسارا

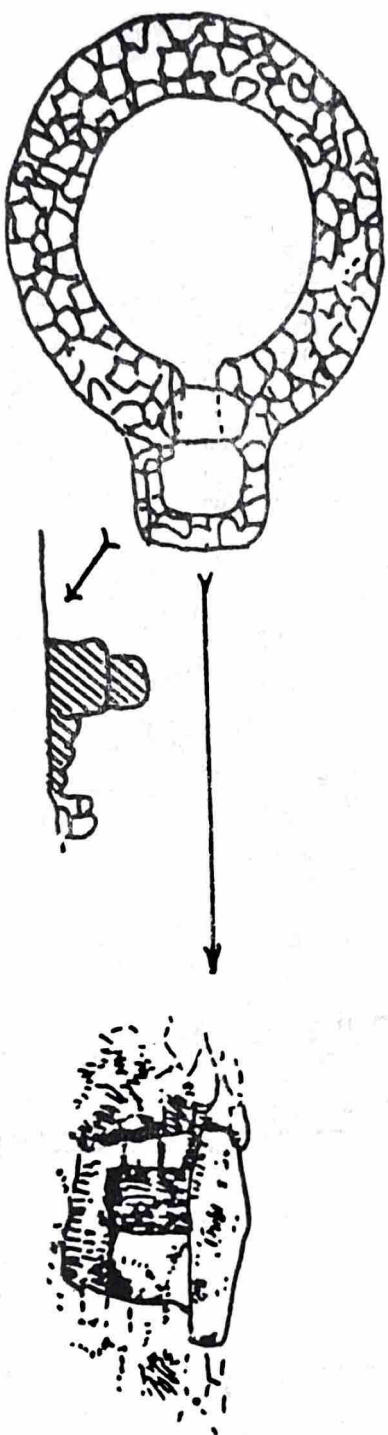


(شكل ٧) تخطيط للقبرتين متجاورتين والحجرات الإضافية من ليننا - ميسلرا

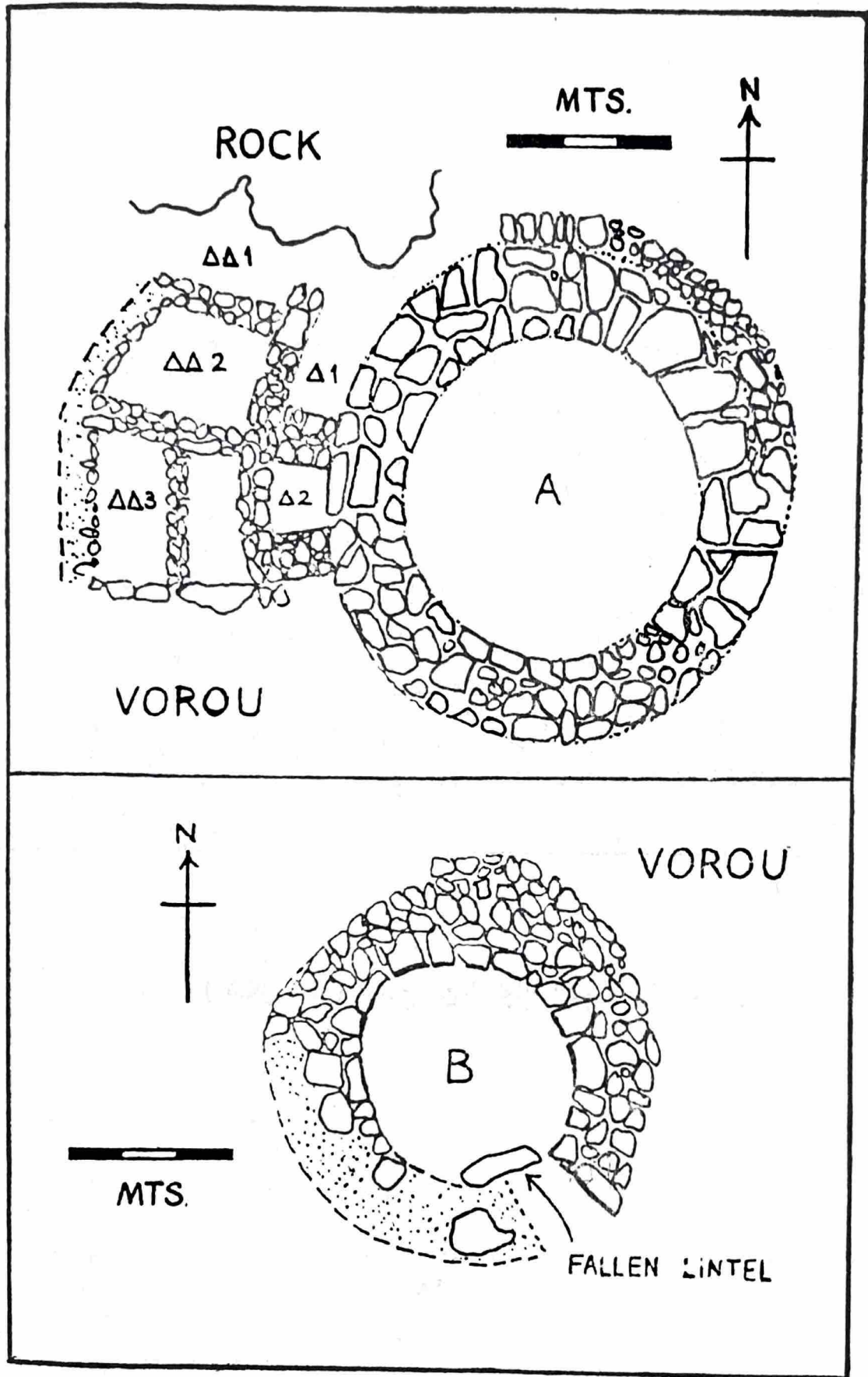


(شكل ٨) تخطيط لمثال من مقابر جزيرة المراكب ، ويشمل

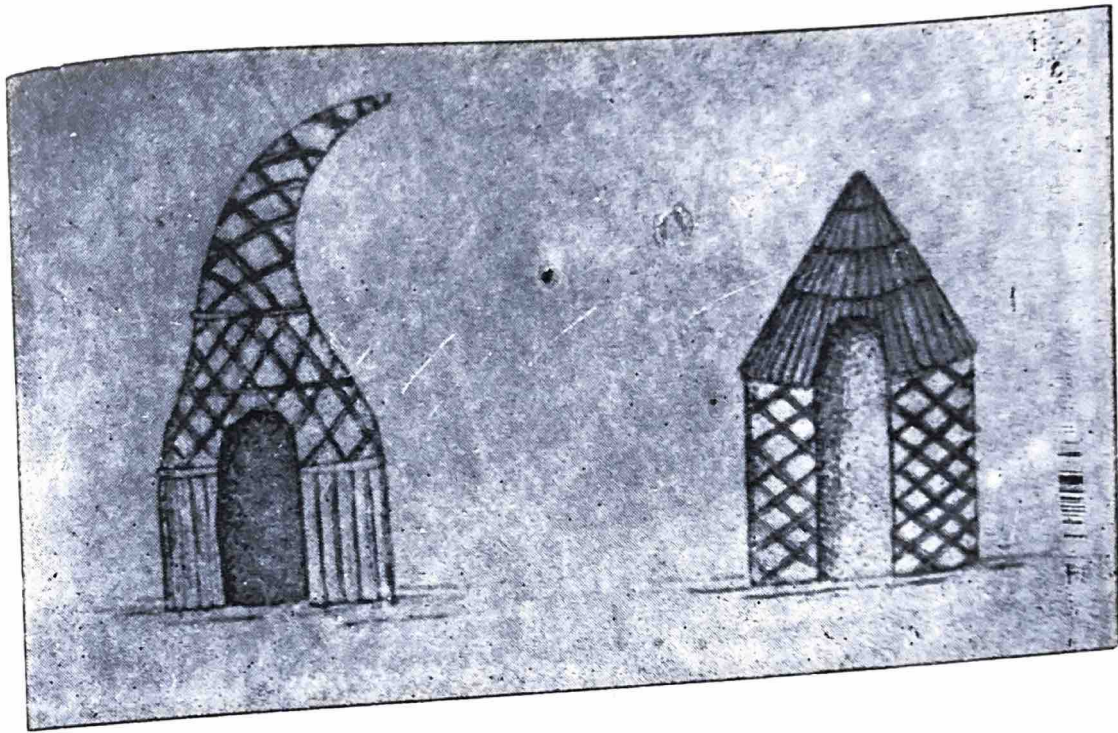
التخطيط والحجرة الامامية



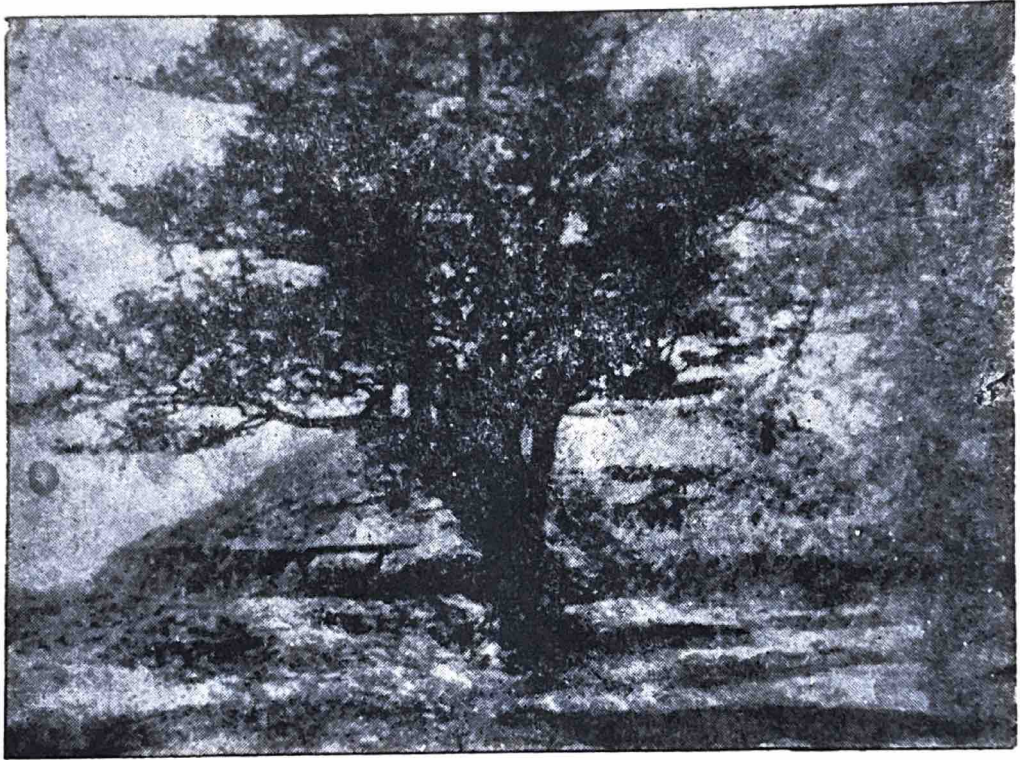
(شكل ٩) تخطيط لقبرة كوماتنة ويشمل القبرة وقطاع للمدخل والمداخل - ميسارا



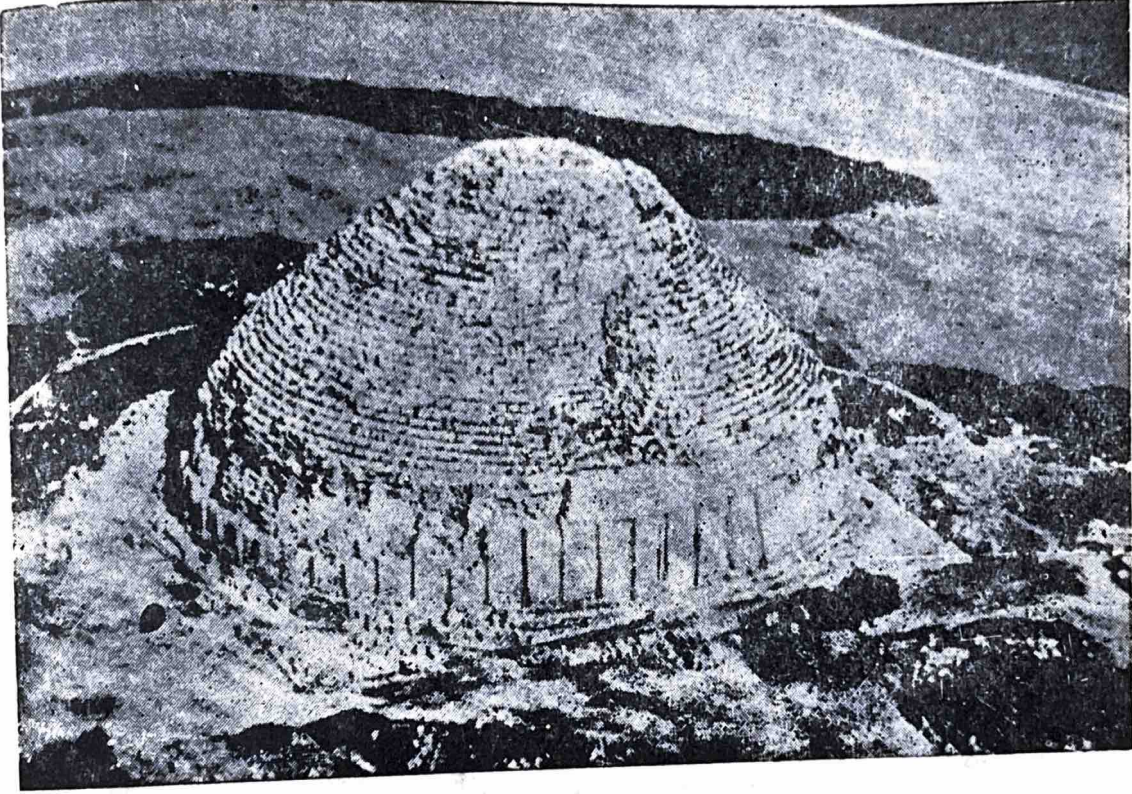
(شكل ١٠) تخطيط المقبرتين من فورو - ميسارا



(شكل ١١) نماذج من الاكواخ الليبية (المباليا)

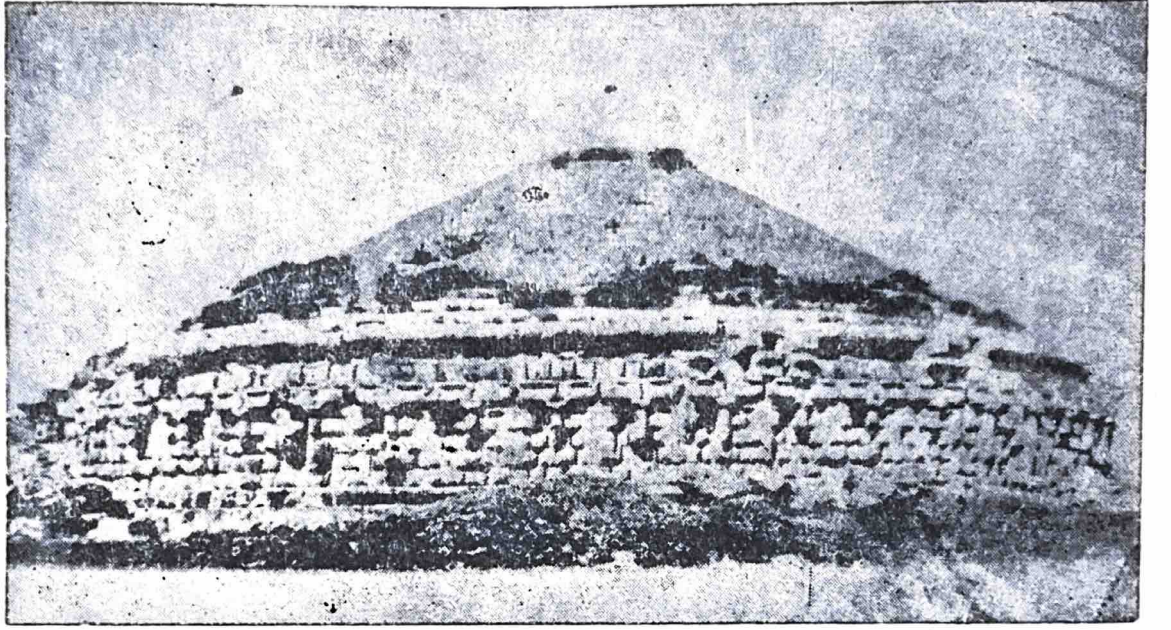


(شكل ١٢) منظر عام لقبرة مسه بقوريناينة



(شكل ١٣) منظر عام للمقبرة التي تدعى

بالجزائر Tombeau de la Chrétienne



(شكل ١٤) منظر عام لمقبرة ميدراسن - الجزائر